



خطبة صلاة الجمعة 21 / 5 / 2021 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالك

(لماذا انتصر شعب فلسطين؟)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأَنْفَال: 17-18].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التَّوْبَة: 111].

أخرج الإمام مسلم عن رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل».

عنوان خطبة اليوم: لماذا انتصر شعب فلسطين؟

أيها الإخوة:

من أبرز عوامل النصر التي سَجَلَتْ في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وسنة نبيه ﷺ هي:

أولاً: الدفاع عن حق:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81] وقال سبحانه: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: 7، 8].

فقد كان أهل فلسطين ينافحون عن حقهم، يذودون عن الأقصى، ويحمون أرضهم، ويأبون تهجيرهم، ويريدون طرد الغاصب من بلدهم.

فمعركة الحق والباطل - وإن طال - فإن عاقبتها للحق، ومقارعة رجال الحق لرجال الباطل - وإن اشتدت - فإن نتيجتها لأهل الحق ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد: 3].

لقي الباطل الحق يوماً، فقال الباطل: أنا أعلى منك رأساً. قال الحق: أنا أثبت منك قدماً.

قال الباطل: أن أقوى منك.

قال الحق: أنا أبقى منك.

قال الباطل: أنا معي الأقوياء والمترفون.

قال الحق: وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون.

قال الباطل: أستطيع أن أقتلك الآن.

قال الحق: ولكن أولادي سيقتلونك ولو بعد حين.

فمن أول عوامل النصر الدفاع عن حق، فمن كان مع الحق فإن العاقبة له بلا ريب.

وعلى الصهيانية أن يدركوا أنهم على باطل وأن لا مكان لهم في أرض مغتصبة من سكانها، وأن الهدوء تعقبه عاصفة لن تقف في وجهها قوى الأرض كلها.

ثانياً: الإعداد للمعركة:

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اْعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَاتَّظَرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [هود: 121-122]، وقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

وَعَدُّوْكُمْ ﴿[الأنفال:60]﴾، ويشمل الإعدادُ للمعركة إعدادَ السلاح وإعدادَ الرجال، فمن أين جاءت

هذه الصواريخ التي كسرت رأس الصهانية إن لم يكن الإعدادُ الطويلُ للسلاح؟

ومن أين جاء هؤلاء الرجال الذين كانوا يطلقونها وكانوا منتشرين في ساح غزة ولم يظهر منهم أحد إن لم يكن الإعدادُ الطويلُ للرجال؟

أما سمعتم أبا عبيدة الناطق الرسمي باسم كتائب القسام؟ ذاك الذي كان إذا هز اصبعه المسبحة ارتجف قادة الصهانية يقول: (شاهدتم خلال الأيام الماضية بعضاً مما أعددناه وراكمناه في سنوات طويلة لم نقف فيها ساعةً عن الإعداد لك حصون العدو ومعاقله، فوراء كل تكبيرة من تكبيراتكم ابتهاجا بصواريخنا المحلقة في سماء فلسطين ساعاتٍ وأيامٍ وشهورٍ من الجهد الجبار والعمل الدؤوب والإصابات والتضحيات والشهداء، ونطمئنكم بأن لدينا المزيد مما يسركم).

لو انشغل المقاومون قبل المعركة بما انشغل به أبو جهل قبل بدر عندما خرج إلى المعركة ومعه القيان الغانيات، وفي يده الرّاح والكؤوس، لرجعوا بما رجع به في بدر. ولكنهم انشغلوا بإعداد الرجال والسلاح فعادوا بالعزة والنصر.

يقول المستشرق كوندي: العرب هَوُوا عندما نسوا فضائلهم التي جاؤوا بها، ومالوا إلى الخفّة والمرح والاسترسال بالشّهوات.

ثالثاً: قوة العقيدة والروح المعنوية العالية:

فالمجاهدون آمنوا بالله رباً، وبمحمّد ﷺ نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً، آمنوا بأنّ الجنّة حقّ، وبأنّ النار حق، وبأنّ قتلاهم في الجنّة، وقتلى الصهانية في النّار، فأحبوا الموت في سبيل الله محبتهم للحياة.

لقد كان الجاهلي - كما الإسرائيلي اليوم - يقاتل لمغنمٍ أو منصبٍ أو لفلسفةٍ وضعيّة، أو تحت لواءٍ صنم.

وقد قالها أبو سفيان رضي الله عنه قبل إسلامه يوم أحد: اعلُ هُبُل، اعلُ هُبُل. كانت عقيدتهم مهزومة، فهُزِموا.

تعطي دول العالم اليوم 75 % للمعنويات، و 25 % فقط للأُمُور المادية في جيوشها، لذلك اعتنى الإسلام بالروح المعنوية لأبنائه، حتّى قال المسلمون لقائدهم ﷺ: "وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضَّتْهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ" (سيرة ابن هشام).

يقول مونتغمري في كتابه (الحرب عبر التاريخ): "أهمُّ مميزات الجيوش الإسلامية لم تكن في المعدات أو التسلّيح أو التّنظيم، بل كانت في الرُّوح المعنوية العالية النّابعة من قوة إيمانهم بالدّعوة الإسلامية".
ألم ترّ ذلك الأب الفلسطيني الذي فقد زوجته وكل أفراد أسرته وهو يقول الحمد لله الحمد لله كلهم عند ربحهم واغرورقت عينه بالدمع ولازال لسانه يلهج بالحمد.

وهل رأيت أنساً ذلك الخاطب الذي كان ينتظر انتهاء أيام العيد ليتمّ مراسم زواجه بشيماء فإذا بالشهادة تسبقه إليها فيلتقيه مراسلو الإعلام فيلقاهم بابتسامة المبتهج باستشهادها، وبين كلماته وجع افتقادها.

إنها الروح المعنوية العالية التي بها تنتصر الأمم.

وهل سمعت تلك الأم الفلسطينية التي استشهد زوجها وأبناءؤها الثلاثة فقالت: والله العظيم أنا فخورة جداً، الحمد لله، لأن الله أكرمني باستشهادهم، وما دمنا سنموت، إذ كل من عليها فان، فلماذا لا تكون شهادة، يتبعها جنات النعيم.

نحن أهل رباط، وهذا قدرنا، ينبغي على كل أم أن تربي أبنائها منذ الصغر تربية إسلامية، تعلمهم أننا أهل رباط وأن الدور إذا انهدمت عوّضت، وأن الشباب إذا استشهدوا عوّضوا، ولكن أقصانا لا يُعوّض، إنه مسرى الرسول.

رضينا عنك يا رب فارض عنا.

وفي فلسطين آساد إذا زأروا
فإن كل شياه الأرض تنهزم
وفي فلسطين أمّ لو يقال لها
أبناءؤك استشهدوا تزهو وتبتسم

هذه الرُّوح المعنوية العالية تزلزل أعداء المسلمين، وتبعثُ الرُّعب في قلوبهم.

أيها الإخوة:

هذه أبرز عوامل انتصار شعب فلسطين:

1. الدفاع عن حق.
2. الإعداد للمعركة.
3. قوة العقيدة والروح المعنوية العالية.

الآن، هل انتهت معركتنا مع الكيان الصهيوني ومن والاه؟ اللهم لا، فالجهاذ ماضٍ منذ بُعث رسولُ الله ﷺ، وإلى أن يقاتل آخرُ هذه الأمة الدّجال.

لا يزال الشرُّ يجمع جموعه، ويُعدُّ عُدتَه، لضربِ الإسلامِ وأهله، فكيف نستعدُّ لهم؟
سأستعير أحسن طريقة للاستعداد من كلام أحد أعداء المسلمين، لأختتم بكلامه الخطبة، وهي
الوظيفة العملية لنا من هذه الخطبة.

جاء في تاريخ الطبري: بعد معركة نهاوند وانتصار المسلمين فيها بقيادة النُّعمان بن مُقَرِّن المزني،
أرسل يزيد جرد (كسرى الفرس) رسولاً يحمل هدايا إلى ملك الصِّين، يطلب منه العون والنَّجدة، فقال
ملكُ الصِّين لرسول كسرى: قد عرفت أنَّه حقٌّ على الملوك إنْجاذُ الملوك على مَنْ غلبهم، فصِفْ لي
صفةَ هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فإنِّي أراك تذكرُ قلةً منهم وكثرةً منكم، ولا يبلغُ أمثالُ
هؤلاءِ منكم -فيما أسمعُ من كثرتكم- إلا بخيرٍ عندهم وشرٍّ فيكم.

فقال رسولُ يزيد جرد: سَلِّني عما أَحْبَبْتَ.

فقال ملكُ الصِّين: أيوفون بالعهد؟

قال الرَّسول: نعم.

فقال الملك: فكيف طاعتُهم أمراءهم؟

فقال الرَّسول: أطوع قومٍ لمرشدهم.

فقال الملك: فما يُجَلُّون؟ وما يُجَرِّمون؟ فأخبره الرَّسولُ.

فقال: أَيُجَرِّمون ما أُحِلَّ لهم؟ أو يُجَلُّون ما حُرِّمَ عليهم؟

فقال الرَّسول: لا.

فقال الملك عندها: فإنَّ هؤلاء القوم لا يهلكون أبداً، حتَّى يُحلُّوا حرامهم ويُجرِّموا حلالهم. ثم كتب
ملكُ الصِّين كتاباً إلى يزيد جرد جاء فيه: إنَّه لم يمنعني أن أبعثَ إليك بجيشٍ أولُهُ بمرو وآخره في الصِّين
الجهالةُ بما يجبُ عليّ، ولكنَّ هؤلاء القوم الذين وَصَفَ لي رسولُك صفتهم، لو يحاولون الجبالَ لهذوها،
ولو حُلِّيَ بيني وبينهم أزالوني ما داموا على ما وَصَفَ، فسالمهم وارضَ منهم بالمساكنة، ولا تُهَيِّجهم ما لم
يُهيِّجوك.

والحمد لله رب العالمين